التأثر الحسي وعلاقته بالتعلم

عبد العزيز الخضراء

يؤمن التربويون والباحثون في علم النفس التربوي، أن معظم الناس يفضلون طريقة معينة على أخرى في استقبال المعلومات والمؤثرات، وتحليلها، والتعامل معها.

ومن هذا المنطلق ظهر الكثير من النظريات والنماذج التربوية والنفسية التي أثرت في الفترة الأخيرة على عملية التعليم، من مناهج وأساليب تعليمية، وكذلك في التدريب والتعامل مع الأفراد ضمن الفريق الواحد. ومن هذه النظريات نموذج مايرز وبريجز 1942 م لتصنيف الشخصيات ومميزات كل نوع منها، ونموذج «ديسك الذي بني على دراسات «ويليام مولتون مارستون» 1928 لتصنيف النماذج السلوكية المختلفة بين الناس، وجاء نموذج «هاورد جاردنز» للذكاءات المتعددة التي تم التعريف به في عام 1982م، ليبين أن هناك أنواعاً متعددة من الذكاءات، وأن الناس مختلفون في أنواع الذكاءات التي يتمتعون بها، وكان تحدياً لقياس الذكاء المعرفي المعروف بـ IQ Test الذي انكب تركيز الباحثين والتربويين عليه في القرن الماضي.

ومن ضمن ثورة النظريات في مجال تصنيف الشخصيات والنماذج النفسية والسلوكية والذكائية، جاء نموذج «طرق التعلم Learning Styles» في السبعينيات من القرن الماضي، ليبين الاختلافات بين الأفراد في الطرق التي تؤثر على إدراكهم للمعطيات والمعلومات؛ حيث يصنف هذا النموذج كل طريقة تعلم ويميزها عن غيرها؛ فلكل شخص طريقة مفضلة بها، وبها يحصل على نسبة أعلى من التركيز وتحليل المعلومة وحفظها أو تعلمها؛ حيث يختلف كل إنسان عن الآخر بطريقة تجاوبه مع الأمور والمؤثرات والشخصيات، وذلك تبعاً لطباعة وطريقة تفكيره ونظرته للأمور، وتأثره الحسي المختلف. وبالتعرف إلى طرق التعلم الخاصة بكل شخص، فإن ذلك يمكنه من اتباع الطرق المناسبة له لتطوير معرفته وأدائه. وكما أن هناك أشخاصاً مختلفون بالطباع والأفكار، فهم أيضاً مختلفون في استجاباتهم للمؤثرات الحسية المختلفة. وهذا النموذج مهم أن يتعرف عليه كل شخص، حتى يحدد الطرق المختصرة التي تساعده على تعلم الجديد، كما أنها مفيدة للمعلمين والعاملين في مجال وضع المناهج التربوية والتدريبية؛ حيث يفترض من أي وسيلة أو أسلوب تعليمي أن يراعي جميع «طرق التعلم المختلفة»، حتى يضمن استيعاب المتلقي للمعلومات المطروحة.

فيما يلي «طرق التعلم» التي تؤثر على قدرات الأفراد في الاستيعاب، والإدراك والتذكر.

1- التعلم المرئي:

وتفضل هذه الشخصية استخدام الرسومات والصور والرموز والمؤثرات البصرية والألوان والخرائط كوسائل، تساعدهم على التعلم وتنظيم المعلومات والتعامل والتواصل مع الآخرين.

والمتعلم لديه القدرة على فهم الأشياء المرئية واستيعابها أكثر من غيره، ويحتاج إلى خلق صور عقلية محسوسة، فهو يتمتع بحس بصري جيد يمكنه من معرفة الاتجاهات بسهولة، ويبرع في التعامل مع الفراغ. ومن المهارات التي يتميز بها هذا النوع من المتعلمين، القدرة على القراءة، والكتابة، وفهم الصور والخرائط والجداول، والرسم، وتركيب وبناء الأشياء، وتصميم النماذج، وحل الألغاز المرئية، والقدرة على تحديد الاتجاهات والمواقع.

يهوى: التصميم، الرسم، التخيل والتصور. يحب الفنون، التصوير، التشكيل، مراقبة السينما والأفلام.

ألعاب الطفل: المكعبات، ليجو، أفلام الكرتون، شرائح مصورة، متاهات، ألغاز، بازل تركيب الصور، كتب مصورة، رحلات للمتاحف الفنية، رحلات بيئية.

والمهن والوظائف المستقبلية: الهندسة، الفنون المعمارية، الرسم والتشكيل والتصوير، التصميم الداخلي، الهندسة البحرية أو هندسة الطيران، اختراع الأشياء، أعمال الميكانيكا.

2- التعلم السمعي:

تتميز هذه الشخصية بالقدرة العالية على أداء الأصوات والموسيقى والتفاعل معها، وينصب اهتمام المتعلم على الأصوات المحيطة بجميع أنواعها، تلفت نظره الألحان والأغاني والسجع، والأنماط الموسيقية. سيجيب المتعلم للموسيقى إما بتقديرها أو انتقادها. المهارات: الغناء، عزف الآلات الموسيقية، التعرف إلى أنماط الإيقاعات، تأليف الموسيقى، تذكُّر النغمات فهم التراكيب والألحان الغنائية، إصدار الأصوات (الهمهمة - الصفير - الطنين، نقر الأيدي مع الأرجل) تمييز الأصوات.

يهوى: الغناء، الصفير، الهمهمة، تقليد أصوات الأشياء والأشخاص، رحلات للحفلات الموسيقية، تأليف الشعر، الكتابة الفنية، لعب موسيقى.

ألعاب الطفل: الألعاب التي تصدر الأصوات أو الموسيقى، أغاني الأطفال، الأفلام الغنائية، آلات موسيقية.

والمهن والوظائف المستقبلية: مطربون، مدرسو موسيقى، عازفو آلات موسيقية، مؤلف الألحان والأغاني، مغنون.

3- التعلم الحركي أو الجسدي:

تتأثر هذه الشخصيات بالمثيرات الحسية واللمسية، وتفضل استخدام لغة الجسد واليدين وحاسة اللمس، وتتمتع بالقدرة على التحكم بحركة الجسد والتعامل بمهارة مع الأشياء المحيطة بها، والقدرة على التعبير عن النفس عن طريق الحركة، امتلاك القدرة على التوازن والتوافق بين العين واليد. يحب لمس الأشياء واستكشافها، ويتميز بأداء التمارين الرياضية بإتقان، التمثيل، تقليد الحركات الجسدية، التوافق الجسدي، التعبير عن المشاعر بأداء الحركات الجسدية (الإيماء - لغة الوجه - اللمس).

يهوى: الرقص، الجري، القفز، والرياضة بمختلف أشكالها، يحب البناء، اللمس، الإيماءات، التمثيل.

ألعاب الطفل: الدراما والتمثيل، الحركة، بناء المجسمات، يحب الرياضات وألعاباً بدنية وحركية، الأنشطة اليدوية والمهنية.

والمهن والوظائف المستقبلية: مدربون أو لاعبون رياضيون، أبطال ألعاب القوى، ممثلون، رجال إطفاء.

ويمكن للأهل والمعلم في المدرسة التعرف إلى الطريقة المثلى التي يتعلم بها الطفل، وبالتالي ترفع من إدراكه وأدائه من خلال الملاحظة ودراسة الأمور التي يفضل التعامل بها، ويتأثر حسياً بصورة أكبر معها من غيرها، ويكون ذلك من خلال:

- ملاحظة سلوك الطفل في التعامل مع المعلم ومع أصدقائه داخل الصف وفي وقت الفراغ.
- متابعة ملاحظات المعلم عن تفاعل الطفل، والاستفسار عنه في اجتماعات أولياء الأمور حول ما يميز الطفل..
- متابعة أوراق المدرسة وأعمال الطفل وسجل تطوره.
- من النقاش مع الأطفال عن أنفسهم وملاحظة قدرتهم في التعبير عن ذاتهم.
- الألعاب والميول التي يفضلها الطفل.
- النشاطات التي يستمتع الطفل بها في المدرسة.
- أسئلة واستفسارات الطفل تشرح الكثير عن طريقة تأثره بمحيطه وما يلفت نظره من الأمور.

«التأصيل» وما أدراك ما «التأصيل» في الثقافة العربية الحديثة

د. عبد النبي اصطيف

نزعة التأصيل (أو لنقل الميل إلى تلمّس أصل origin في الثقافة الأم لكل ما هو مُحدَث neo وجديد new وحديث modern) نزعة طبيعية، وواسعة الانتشار، وارواجها في الثقافة العربية الحديثة متفهَّم تماماً؛ لأن على هذه الثقافة، بوصفها ثقافة قومية، أن تسعى إلى تأكيد حضورها في المشهد الثقافي المعاصر، تعزيزاً لهويتها المهدَّدة من جانب الثقافات الوافدة، وبخاصة الغربية منها.

والغالب على عمل بعض دعاة التأصيل (ولاسيما المفتونون بالتراث العربي افتتاناً يكاد يصرفهم عن كل ما عداه)، لجوؤهم إلى المعاجم العربية القديمة وبخاصة (لسان العرب، وتاج العروس، والقاموس المحيط، وغيرها) بحثاً في جذور اللغة العربية الثنائية أو الثلاثية أو الرباعية عن أصل لنظرية theory، أو فكرةidea، أو مقولةcategory، أو مصطلحidiom، أو مفهوم concept، والانطلاق منه في تحديد دلالة هذه النظرية، أو تلك الفكرة، أو المقولة، أو المصطلح، أو المفهوم، ومن ثمّ الزعم بأن أصولها موجودة في الثقافة العربية القديمة، والإيحاء، ربما بشكل غير مباشر، بأنه لا تثريب على العرب المعاصرين إذا ما استعملوها في حياتهم، فهي مجرّد خلّ قديم يقدّم بآنية جديدة.

وقد تبدو ممارسة كهذه، للوهلة الأولى، ممارسة منسجمة داخلياً، منطقية، ومعقولة، ومن ثَم فهي مسوّغة بأي معيار من المعايير. ولكن الحقيقة أن مساءلة جادة لهذه الممارسة تظهر بوضوح أن هذا الضرب من الممارسة يجانب واقع هذا الشكل من التثاقف أو المثاقفة acculturation بين الثقافة العربية الحديثة وبين الثقافات الغربية الوافدة.

ذلك أن هذه النظريات، والأفكار، والمقولات، والمفاهيم، والمصطلحات، قد وفدت علينا من ثقافات «الآخر»/ الغربي والشرقي، وهي بالتأكيد جزء لا يتجزأ من هذه الثقافات، ولذلك فإن التعامل مع نظيراتها في الثقافة العربية الحديثة، تقتضي منا أن ننظر بدايةً إلى دلالاتها في تلك الثقافات: كيف نشأت، وكيف تطورت، وكيف اتخذت شكلها الأخير الذي انتقل إلى ثقافتنا.

ومعنى هذا أن مقولة «الاغتراب» alienation على سبيل المثال لا تُلتمس جذورها في مادة «غرب» في المعاجم العربية القديمة؛ بل ينظر إلى دلالاتها المعجمية والاصطلاحية والفكرية في المعاجم والمراجع الغربية، و«التفكيك» deconstruction كذلك لا تلتمس أصوله في لسان العرب، أو القاموس المحيط، أو أساس البلاغة أو غيرها، بل يبحث عنها في المعاجم الفرنسية اللغوية والاصطلاحية؛ ولا يُنظر إلى دلالاته في المعاجم العربية؛ بل في المراجع الفلسفية الفرنسية، ولا سيما كتب جاك ديريدا. وكذا الشأن في أي نظرية أو فكرة، أو مفهوم، أو مصطلح وافد.

وليس على المرء أن يذكّر في هذا المقام بسوء الفهم الذي اكتنف فهم العديد من العرب المعاصرين للعديد من الآراء والأفكار والنظريات والمصطلحات، بسبب عدم التماس دلالاتها في مراجعها الغربية، وإهمال النظر إلى محدّداتها المختلفة في الغرب.

ولأن هذه النظريات والفلسفات والأفكار والمفاهيم والمصطلحات قد جاءتنا من ثقافات «الآخر» وتقاليده الفكرية والأدبية والنقدية، فإن علينا أن ندرس سُبُل انتقالها إلى الثقافة العربية الحديثة؛ سواء أكان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر، وعلينا بعد ذلك أن ندرس ما طرأ عليها من تحوّلات في رحلتها هذه إلى هذه الثقافة، خاصة وأن هذه التحولات مرتبطة على نحو وثيق بالحاجات العربية التي أملت على المجتمعات العربية التفاعل معها على نحو أو آخر. ولا ننسى في نهاية المطاف أننا نتعامل مع فهم العرب لها، وتوظيفهم لمختلف جوانبها في تدبّر نتاجهم الثقافي والفكري والأدبي والنقدي. ذلك أن الترجمة- وهي القناة الأكثر أهمية في عملية التثاقف بين الأمم والشعوب – هي عملية قراءة، وفهم لنصوص الآخر، ومن ثَم الإفصاح عن هذا الفهم والتعبير عنه باللغة الهدف، ومعنى هذا أن النص المترجم في حُلّته الجديدة ليس غير تجسيد لهذا الفهم، بصرف النظر عن مدى دقته وصحته وكفاءة من قام بترجمته.

والحقيقة أن ما يطرأ على هذه النظريات والفلسفات والأفكار والمفاهيم والمصطلحات ضروري من أجل تسهيل عملية توطينها في الثقافة العربية الحديثة، حتى تُمارس دورها الحيوي في حفز الكثير من التطورات التي تطال مختلف جوانب هذه الثقافة، ومن المؤسف حقاً أننا غالباً ما نغفل عن هذا الدور الذي يُعدّ بحق جزءاً من سنّة التفاعل بين الأمم والشعوب، التي تتعارف؛ أي يعرف بعضها بعضها الآخر، وتتبين من ثَمَّ حكمة الاختلاف والتنوع اللذين يكمنان وراء العبقرية البشرية.